

المذهب الكلاسيكي

يمثل المذهب الكلاسيكي أول مدرسة في تاريخ الأدب العالمي، ونقصد بمصطلح "مدرسة أدبية" - أو مذهب أدبي - اتجاهها أو طريقة معينة في كتابة الأدب تستند لخلفيات فكرية وتاريخية. ويعود ظهور الكلاسيكية وتطورها إلى عصر النهضة الأوروبية وهي أحد مظاهر هذه النهضة وتندرج ضمن تلك الحركة المحمومة التي شهدتها أوروبا آنذاك للنهوض بالأدب واللغة و الفلسفة بعد الركود الفكري الذي عرفته القرون الوسطى خاصة بعد سقوط القسطنطينية (1453هـ) وسقوط أحلام بيزنطة التوسعية وانكفاء الأوروبيين على ذواتهم وعودتهم إلى أوروبا وانكبابهم على استكشاف التراث الفكري الإغريقي والروماني وترجمته بقصد استلهامه والنسج على منواله ، وكان الأدب أحد أهم المجالات الفكرية التي طالها جمود القرون الوسطى والتي بُعثت فيها الحياة في عصر النهضة على يد أدباء الكلاسيكيين ونقادها ومُنظريها.

مبادئها:

- 1- تمجيد العقل : تُصور الأعمال الكلاسيكية الصراع بين العقل والقلب ،بين الواجب والعاطفة ، وهو صراع محسوم لصالح العقل والواجب على حساب القلب والعاطفة ،وتدعو لكبح جماح العاطفة والخيال . نظرت المدرسة الكلاسيكية إلى الأدب نظرًا لكائن حي يشترك مع الآخرين بعقله دون قلبه ،ولا ينبغي له أن ينفرد بالتغني بعواطفه وأحاسيسه الخاصة ، وإنما عليه أن يصور نزعات الإنسان في ضوء العقل .
- 2- الاهتمام بالشكل الفني: أولى الكلاسيكيون الجانب الفني اهتماما كبيرا ، وقدموا تصورا ثابتا - لا ينبغي الحياد عنه أو التغيير فيه - للنص الأدبي مستلهما من النص الأدبي اليوناني القديم وتعاليم كتاب "فن الشعر" الذي كان مرجعهم الأساسي ، ويتمثل في النص المسرحي الشعري.أُلزم الأدباء بكتابة المسرحية الشعرية على الطريقة اليونانية القائمة على نظام الوحدات الثلاث (وحدة الزمان والمكان والحدث) ،وئُبل الشخصيات ،والفصل التام بين التراجيديا والكوميديا (مبدأ نقاء النوع) ،ويتم الحكم على الأعمال الأدبية حسب مدى التزامها بهذه القواعد ،ويكون التهميش مصير كل عمل لا يستوفي هذه الشروط الشكلية .وبالتالي قاد هذا التركيز على الشكل إلى إهمال المضمون وجعله تابعا .
- 3- اللغة الراقية: كان الأدب الكلاسيكي أدبا موجها لنخبة بعينها هي الطبقة الأرستقراطية الحاكمة ،يصور حياتهم ويتناول قضاياهم (منهم وإيهم) ،ويتوجه إليهم ،حتى إن المسرحيات الكلاسيكية تُعرض على خشبة المسارح ودور الأوبرا التي لا يرتادها سواهم ،وكان نبلاء عصر النهضة يحرصون على استضافة الشعراء في قصورهم . وما هذا إلا انعكاس طبيعي لهيمنة هذه الطبقة على أرض الواقع آنذاك على جميع الأصعدة :سياسيا ،اقتصاديا واجتماعيا ،لذلك كانت من

الضروري تَحْيُرُ لغة تليق بجمهور المُتَلَقِّين هذا ،فكانت لغة الأدب الكلاسيكي لغة راقية بليغة تصل إلى حد التكلف والتحدلق بعيدة عن اللغة العادية أو العامية.

4- تسخير الشعر لوظيفة أخلاقية: وذلك بهدف تصحيح عِلَّات المجتمع عن طريق التعليم المباشر والوعظ (وذلك في التراجيديا)،أو المهجاء والنقد (وذلك في الكوميديا).

5- إحياء التراث الأدبي اليوناني القديم: اتخذ الكلاسيكيون كتاب "فن الشعر" لأرسطو دستوراً لهم ،وقام المذهب بأكمله على فكرة النسج على منوال النموذج التراثي ،على غرار كل أشكال الفكر في عصر النهضة.

المذهب الرومنسي

ترتبط الرومنسية تاريخياً بعصر التنوير (القرن الثامن عشر) ،ويرتبط التنوير بالطبقة البورجوازية ،وهي طبقة ظهرت في أوروبا بين منتصف وأواخر عصر النهضة ،سعت إلى التحرر من قيود الطبقة والإقطاع ،وناضلت طيلة قرون من أجل تحرير أوروبا من سطوة الأرستقراطيين وإرساء مبادئ الديمقراطية والحرية والعدالة ، وتقديم تصور اقتصادي جديد -يتمثل في الرأسمالية - يقوم على حرية العمل والاستثمار ،والحد من سلطة الكنيسة الكاثوليكية .

تُوج نضال البورجوازية بالثورة الفرنسية سنة 1789 ،حيث سقط النظام الملكي وقامت الأنظمة الجمهورية الديمقراطية في أوروبا ،وانتقل الاقتصاد من الإقطاع إلى الرأسمالية ،وتراجع دور الكنيسة كما تراجعت الطبقة .

وترافق هذا النضال السياسي والاجتماعي مع ثورة أدبية ضد المذهب الكلاسيكي تمثلت في المذهب الرومنسي الذي سعى هو الآخر لتحرير الأدب من قيود الكلاسيكية و اتخذ من الأدب وسيلة للتعبير عن الأحاسيس الشخصية.

خصائصها العامة:

أ-المضمون:

- 1-طلب الحرية والانعتاق والإغراق في الغنائية.
- 2-غلبة الإحساس الغامض على الفكرة الواضحة المعالم .
- 3- التعبير عن تأزم الفكر والإرادة والقلق والكآبة والتشاؤم والتمزق والشعور بالجبرية وإفلاس الحب .
- 4- تقديم الخيال على العقل وتفضيله على التحليل النقدي ،والهرب من الواقع واللجوء إلى الحلم والرحيل عبر المكان إلى البلدان البعيدة أو عبر الزمن بالارتداد إلى القرون الغابرة.
- 5-الميل إلى الغموض والخوارق والأساطير ورؤية الطبيعة ملاذاً واتخاذها رفيقا أنيسا ومُحاورا في تحليل الانفعالات النفسية.

6- بروز الفردية وتضخمها وانتفاضتها على الموضوعات الكلاسيكية وأصولها وعبادة الذات والمغلاة في عرض شؤونها. قوعدئية س

7- الدفاع عن الإنسان المضطهد والشعب المستعمر، والتوق إلى عالم فاضل تسوده مبادئ العدل والمساواة والمحبة.

8- تشخيص الطبيعة ومحدثتها واللجوء إليها وقت الأزمات.

يحتوي المضمون الرومنسي على الوصف العاشق للطبيعة والعودة إلى عصور الفروسية وتقدير الإنسان واحترام كيانه، وتأيد الفرد في ثورته على المجتمع، وتبقى الذاتية أو الفردية أهم خصائص الرومنسية فغالبا ما نجد الرومنسي دائرا في ذاته سواء أكان مطحونا تحت وطأة الحزن والكآبة والملل، أو تائرا عنيفا على ركود المجتمع، وهو في كلتا الحالتين إنسان غامض لا يثق بالنهج العقلاني، يُفضل الشعر على الفلسفة، والعاطفة على المنطق.

ب- الناحية الفنية:

تنادي الرومنسية بتحطيم القيود والقواعد والتقاليد، وتركز على التلقائية والغنائية والفطرة والسليقة والموهبة والخلق، ويحترم الرومنسيون قواعد الكتابة دون إلزام أو إجبار، وإن كان المضمون والأفكار أهم عندهم من الأسلوب، لكنهم يرفضون اللغة المتكلفة ويستخدمون أساليب جديدة ضمن إطار لغوي دقيق ينسجم مع أسرار لغتهم الأم.

المذهب الواقعي

بعد نجاح الثورة الفرنسية وسقوط الملكية وصعود البورجوازية ووصولها إلى الحكم وتوليها زمام الحياة السياسية والاقتصادية، دخلت أوروبا عهدا جديدا بحلول القرن التاسع عشر 19م تميز أساسا بثورة صناعية كبرى نقلت أوروبا من مجتمع رعوي زراعي إلى حضرة صناعية كبرى.

قلبت أوروبا الرأسمالية وجه أوروبا كُلية على جميع الأصعدة، وانعكست آثار على كل نواحي الحياة حيث شُيدت المصانع واتسعت المدن وتطور النقل بالسكك الحديدية بعد الاكتشاف الثوري للفحم، وبالتالي أضحى التنقل متاحا وأصبحت المدينة قبلة القادمين من القرى والأرياف الباحثين عن العمل والثورة بعد أن فُتح سوق العمل واسعا بفضل الرأسمالية واقتصاد السوق الحر.

اتسعت المدن وتعقدت الحياة وسادت النزعة الفردانية واختلفت المعايير الناظمة للعلاقات الإنسانية من معايير إنسانية إلى معايير مادية خالية من العاطفة والحميمية وأصبحت قيمة الإنسان تنحصر في دوره في المعادلة الاقتصادية ومدى مساهمته في دفع عجلة إنتاج السلعة التي تم تقديسها باعتبارها العنصر الأساسي والهدف الرئيسي في المعادلة الرأسمالية، وقد أطلق "كارل ماركس" على هذه الظاهرة تسمية: "فتيشية السلعة"، أي تقديس السلعة. تراجع قيمة الإنسان وفقد إنسانيته وعاش غربة روحية وتاه في مدينة تتلعب ساكنيها.

أما على الصعيد الفكري فقد سادت الفلسفة الوضعية، والفكر المادي العقلاني الذي يركزُ إلى الحقائق الملموسة والمرئية، ويكفر بالماورائيات والميتافيزيقا، ولا يؤمن إلا بالتجربة ونتائجها خاصة بعد تطور الطب التجريبي على يد "جون كلود برنار".

أبرز هذه الظروف أشكالاً فنية جديدة ملائمة لها تعبر عنها، وقد كان المذهب الواقعي خير تعبير في عنها سواء في الفن التشكيلي أو الموسيقى أو الأدب، وهو محور اهتمامنا.

أخذت الواقعية تهيمن على كل شيء مع منتصف القرن التاسع عشر، لتتربع على عرش الأدب والفن، فبرزت في القصة والرواية والمسرحية والرسم، ودعا روادها إلى الموضوعية في الإبداع، وتبني دقة الملاحظة في تصوير العالم الخارجي وخلجات النفس الإنسانية، والثقة بالعلم في حل مشكلات الإنسانية. نشطت الواقعية داخلاً هذه المرجعيات الثقافية والفكرية الجديدة (المذكورة أعلاه)، وسعت إلى اكتشاف القولين التي تتحكم في المجتمع والعلاقات الاجتماعية، وآمنت بأن الإنسان خاضع لقوانين وسنن صارمة

لذلك آمن الواقعيون بالعلم والديمقراطية وحتمية تغيير المجتمع. كما رفضوا الروح الأكاديمية اللصيقة بالإبداعات الكلاسيكية، وعبروا عن حياة العمال والفلاحين والشرائح الاجتماعية الفقيرة، فجاءت موضوعاتهم معبرة عن تنوع الحياة وتشعبها. اختار الواقعيون موضوعات جديدة، بعيدة كل البعد عن موضوعات الكلاسيكيين وموضوعات الرومانسيين. كما تبنوا أساليب جديدة في الإنشاء والتعبير، قصد تحقيق شفافية المقروئية وضمان وضوح الدلالة، وتغيرت وضعية الشخصية الأدبية من حالة النماذج الجاهزة المحنطة إلى وضعية الشخصية الإشكالية المتجذرة في عالم مأزوم يفتقر إلى اليقينيات والمعاني الإيجابية.

حرصت الواقعية على الارتباط بالواقع وتسجيل خبائمه وأسراره، وهي بخلاف الرومانسية التي قامت على فكرة الخلق (الأديب لا يحلكي العالم وإنما يخلقه من العدم ويبعث فيه الحياة)، تقول بمحاكاة الحياة ورصد شتى المظاهر الاجتماعية. ولكن هذه المحاكاة ليست تسجيلاً فوتوغرافياً ولا نقلاً آلياً لزخم الحياة بلإيجليته وسليلته، بل هي عملية إبداعية للواقع وصياغته صياغة واعية تقوم على المتخيل والتصوير والتشكيل والنمذجة، إن الكتابة الواقعية عملية إبداعية تستند إلى الواقع وتستوعبه وتتمثله، ثم تصبه في معمارية فنية تقوم على التماسك والانسجام. عزف الواقعيون عن التعقيد وعن الزخرفة اللفظية المعروفة لدى الكلاسيكيين وعن لغة الطبقات الأرستقراطية وتبنوا لغة الشرائح الاجتماعية الشعبية.

أشكال الواقعية:

وهي الشكل الذي أخذته الواقعية في القرن التاسع عشر، أي أن الواقعية ولدت انتقادية، لأن أوضاع المجتمع الصناعي الأوروبي في منتصف القرن التاسع عشر، كانت تحول دون تبلور فكر ثوري جماهيري مؤثر في الفنون والآداب. فلكتفت الواقعية وقتها برصد التناقضات الاجتماعية والكشف عن خبايا الأزمات الكبرى التي كانت تعصف بأوروبا. وقد تحرى الأديب الواقعي النقدي الصدق في وصفه لحركة التطور الاجتماعي. ويعد هذا الموقف وقتها موقفاً إيجابياً، لأنه رفض الصمت والانصياع للإيديولوجية البورجوازية وأثر تعرية الواقع ووصفه كما هو بكل موضوعية وبكل جرأة. ولكونه يفتقر إلى النضج السياسي، وإلى الوعي الإيديولوجي وإلى الرؤية الجدلية وإلى الشمولية، لأنه لم يستطع تفكيك الواقع وإعادة بنائه

وفق نظرية ثورية بهدف تغييره وتحويله والقضاء عليه، وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن الواقعية النقدية تمثل الطرف الثاني من الجدلية أي نقيض الأطروحة.

يعد الروائي الفرنسي بلزاك، أشهر ممثل للواقعية النقدية، ويرى لوكتاش أن بلزاك، رغم لتمامته السيلسية البورجوازية، ورغم تعاطفه مع الملكية، إلا أن كتاباته تعكس إيديولوجية تقدمية وتحريية ذلك، أنه يجب أن نفرق بين إيديولوجية الكاتب بوصفه مواطنًا وإنسانًا وإيديولوجية كتاباته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسيح الدلالات.

وقد صور كتاب الواقعية النقدية الحياة الممزقة، الحياة التي تسحق كل ما في الإنسان من جميل وعظيم بلا رحمة ولا هودة. ولهذا السبب غلبت على رؤيتهم مسحة من التشاؤم. ومع الواقعية النقدية، تتفجر أبنية العالم القديم، وتهتز أركان اليقينييات البورجوازية، فيتشكل لدى الإنسان وعي مأساوي بالحياة، تعبر عنه الرؤية من خلال البطل الإشكالي الممزق بين الحنين إلى فردوس القيم الأصيلة التي ولت إلى غير رجعة من جهة، والتطلع إلى تحقيق الذات الإنسانية في عالم يسوده الاغتراب والضياع والتواصل المستحيل من جهة أخرى، إنها صخرة سيزيف التي تسد الآفاق وتثبط العزائم والهمم.

ملاحظ أن الواقعية النقدية، ورغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت لها، خلاصة من أنصار الواقعية الاشتراكية وأنصار الواقعية الجديدة، لا تزال مصدر إلهام بالنسبة لكثير من المبدعين في العالم.

الواقعية الاشتراكية:

ظهر الاتجاه الاشتراكي في الفلسفة والسياسة والاقتصاد وتبلور على يد كل من "كارل ماركس" و"فريدريك إنجلز" خلال القرن التاسع عشر وينطلق من انتقاد جشع البورجوازية والنظام الرأسمالي، ويرى أن البورجوازية - التي وعدت الأوروبيين بالجنة - عادت للممارسات نفسها التي ثارت عليها من استغلال وتفارقة وكيل بمكياين، وأن النظام الرأسمالي القائم على حرية المبادرة والاستثمار ساعد على استغلال أرباب العمل للبطء والضعفاء والعمال دون رقابة أو محاسبة. وعليه اقترح "ماركس" الاشتراكية القائمة على ملكية الدولة لكل وسائل الإنتاج حيث يتساوى الجميع ودعا إلى الثورة من أجل تبني هذا التصور. وقد شاع هذا الفكر على نطاق واسع، وانتقل إلى الفن والأدب .

تتمثل المبادئ الإيديولوجية والجمالية الأساسية للواقعية الاشتراكية فيما يلي: الوفاء للإيديولوجية الشعبية، وضع النشاط الإنساني في خدمة الشعب وروح الحزب، الارتباط العضوي بنضال الجماهير الكادحة، نزعة إنسانية لشركية وأممية، تفاؤل تاريخي، رفض الشكلاية والذاتية .

تمثل الواقعية الاشتراكية بالنسبة لأدباء الاتحاد السوفياتي - الذي كلنوا وقتها بصدد وضع الأسس لمجتمع لشركي مثالي ونموذجي - الروح الملحمية الجديدة التي تؤسس للبطل الاشتراكي، صانع التاريخ ومستقبل الإنسانية. وأضحت الواقعية الاشتراكية، بدلية من 1934 هي الإيديولوجية الأدبية الرسمية التي لا يجوز الخروج عنها في الإبداعات الفنية والأدبية

.ووضع الأديب الناقد السوفياتي مبادئ وقواعد صارمة لهذا المذهب، بحيث لا يجوز الخروج عنها .وكل من تسول له نفسه الابتعاد عن هذا المنهج الرسمي، يجد نفسه عرضة لاتهامات خطيرة قد تؤدي به إلى القتل، السجن أو المنفى .

وقد انتشرت الواقعية الاشتراكية في كل بلدان العالم، تنظيرا وإبداعا، ورأى فيها بعض كبار الأدباء العالميين مشروع بعث إنسانية جديدة، ومن روادها الكبار، الشاعر الروسي مليا كوفسي، والأديب الروسي الذائع الصيت غوركي، ولويس أراغون في فرنسا وناظم حكمت في تركيا، وبابلونيرواد في الشيلي، وغارسيا لوركا في إسبانيا ومحمد زيب في الجزائر.

المذهب الواقعي

بعد نجاح الثورة الفرنسية وسقوط الملكية وصعود البورجوازية ووصولها إلى الحكم وتوليها زمام الحياة السياسية والاقتصادية، دخلت أوروبا عهدا جديدا بحلول القرن التاسع عشر 19م تميز أساسا بثورة صناعية كبرى نقلت أوروبا من مجتمع رعوي زراعي إلى حضرة صناعية كبرى .

قلبت أوروبا الرأسمالية وجه أوروبا كُليّة على جميع الأصعدة، وانعكست آثار على كل نواحي الحياة حيث شُيدت المصانع واتسعت المدن وتطور النقل بالسكك الحديدية بعد الاكتشاف الثوري للفحم، وبالتالي أضحى التنقل متاحا وأصبحت المدينة قبلة القادمين من القرى والأرياف الباحثين عن العمل والثورة بعد أن فُتح سوق العمل واسعا بفضل الرأسمالية واقتصاد السوق الحر.

اتسعت المدن وتعقدت الحياة وسادت النزعة الفردانية واختلفت المعايير الناظمة للعلاقات الإنسانية من معايير إنسانية إلى معايير مادية خالية من العاطفة والحميمية وأصبحت قيمة الإنسان تنحصر في دوره في المعادلة الاقتصادية ومدى مساهمته في دفع عجلة إنتاج السلعة التي تم تقديسها باعتبارها العنصر الأساسي والهدف الرئيسي في المعادلة الرأسمالية، وقد أطلق "كارل ماركس" على هذه الظاهرة تسمية: "فيتيشية السلعة"، أي تقديس السلعة. تراجعت قيمة الإنسان وفقد إنسانيته وعاش غربة روحية وتاه في مدينة تبتلع ساكنيها.

أما على الصعيد الفكري فقد سادت الفلسفة الوضعية، والفكر المادي العقلاني الذي يركزُ إلى الحقائق الملموسة والمرئية، ويكفر بالماورائيات والميتافيزيقا، ولا يؤمن إلا بالتجربة ونتائجها خاصة بعد تطور الطب التجريبي على يد "جون كلود برنار".

أفرز هذه الظروف أشكالا فنية جديدة ملائمة لها تعبر عنها، وقد كان المذهب الواقعي خير تعبير في عنها سواء في الفن التشكيلي أو الموسيقى أو الأدب، وهو محور اهتمامنا.

أخذت الواقعية تهيمن على كل شيء مع منتصف القرن التاسع عشر، لتترجع على عرش الأدب والفن، فبرزت في القصة والرواية والمسرحية والرسم، ودعا روادها إلى الموضوعية في الإبداع، وتبني دقة الملاحظة في تصوير العالم الخارجي وخلصت النفس الإنسانية، والثقة بالعلم في حل مشكلات الإنسانية. نشطت الواقعية داخل هذه المرجعيات الثقافية

والفكرية الجديدة (المذكورة أعلاه)، وسعت إلى اكتشاف القوانين التي تتحكم في المجتمع والعلاقات الاجتماعية، وآمنت بأن الإنسان خاضع لقوانين وسنن صارمة

لذلك آمن الواقعيون بالعلم والديمقراطية وحتمية تغيير المجتمع. كما رفضوا الروح الأكاديمية اللصيقة بالإدعاءات الكلاسيكية، وعبروا عن حياة العمال والفلاحين والشرائح الاجتماعية الفقيرة، فجاءت موضوعاتهم معبرة عن تنوع الحياة وتمشعها. لاختار الواقعيون موضوعات جديدة، بعيدة كل البعد عن موضوعات الكلاسيكيين وموضوعات الرومانسيين. كما تبنا أساليب جديدة في الإنشاء والتعبير، قصد تحقيق شفافية المقروئية وضمان وضوح الدلالة، وتغيرت وضعية الشخصية الأدبية من حالة النماذج الجاهزة المحنطة إلى وضعية الشخصية الإشكالية المتجدرة في عالم مأزوم يفتقر إلى اليقينية والمعاني الإيجابية.

حرصت الواقعية على الارتباط بالواقع وتسجيل خباياه وأسراره، وهي بخلاف الرومانسية التي قامت على فكرة الخلق (الأديب لا يحاكي العالم وإنما يخلقه من العدم ويبعث فيه الحياة)، تقول بمحاكاة الحياة ورصد شتى المظاهر الاجتماعية. ولكن هذه المحاكاة ليست تسجيلاً فوتوغرافياً ولا نقلاً آلياً لزخم الحياة بل يجلباته وسليته، بل هي عملية ابتداع للواقع وصياغته صياغة واعية تقوم على المتخيل والتصوير والتشكيل والنمذجة، إن الكتابة الواقعية عملية إبداعية تستند إلى الواقع وتستوعبه وتمثله، ثم تصبه في معمارية فنية تقوم على التماسك والانسجام. عزف الواقعيون عن التعقيد وعن الزخرفة اللفظية المعروفة لدى الكلاسيكيين وعن لغة الطبقات الأرستقراطية وتبنا لغة الشرائح الاجتماعية الشعبية.

أشكال الواقعية:

وهي الشكل الذي أخذته الواقعية في القرن التاسع عشر، أي أن الواقعية ولدت انتقادية، لأن أوضاع المجتمع الصناعي الأوروبي في منتصف القرن التاسع عشر، كانت تحول دون تبلور فكر ثوري جماهيري مؤثر في الفنون والآداب. فلكتفت الواقعية وقتها برصد التناقضات الاجتماعية والكشف عن خبايا الأزمات الكبرى التي كانت تعصف بأوروبا. وقد تحرى الأديب الواقعي النقدي الصدق في وصفه لحركة التطور الاجتماعي. ويعد هذا الموقف وقتها موقفاً إيجابياً، لأنه رفض الصمت والانصياع للإيديولوجية البورجوازية وأثر تعرية الواقع ووصفه كما هو بكل موضوعية وبكل جرأة. ولكونه يفتقر إلى النضج السياسي، وإلى الوعي الإيديولوجي وإلى الرؤية الجدلية وإلى الشمولية، لأنه لم يستطع تفكيك الواقع وإعادة بنائه وفق نظرية ثورية بهدف تغييره وتحويله والقضاء عليه، وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن الواقعية النقدية تمثل الطرف الثاني من الجدلية أي نقيض الأطروحة.

يعد الروائي الفرنسي بلزاك، أشهر ممثل للواقعية النقدية، ويرى لوكتاش أن بلزاك، رغم لتماماته السياسية البورجوازية، ورغم تعاطفه مع الملكية، إلا أن كتاباته تعكس إيديولوجية تقدمية وتحريية ذلك، أنه يجب أن نفرق بين إيديولوجية الكتّاب بوصفه مواطناً وإنساناً وإيديولوجية كتابته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسيج الدلالات.

وقد صور كتاب الواقعية النقدية الحياة الممزقة، الحياة التي تسحق كل ما في الإنسان من جميل وعظيم بلا رحمة ولا هوادة .ولهذا السبب غلبت على رؤيتهم مسحة من التشاؤم .ومع الواقعية النقدية، تتفجر أبنية العالم القديم، وتهتز أركان اليقينيّات البورجوازية، فيتشكل لدى الإنسان وعي مأساوي بالحياة، تعبر عنه الرؤية من خلال البطل الإشكالي الممزق بين الحنين إلى فردوس القيم الأصيلة التي ولت إلى غير رجعة من جهة، والتطلع إلى تحقيق الذات الإنسانية في عالم يسوده الاغتراب والضياع والتواصل المستحيل من جهة أخرى، إنها صخرة سيزيف التي تسد الآفاق وتثبط العزائم والهمم.

نلاحظ أن الواقعية النقدية، ورغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت لها، خلاصة من أنصار الواقعية الاشتراكية وأنصار الواقعية الجديدة، لا تزال مصدر إلهام بالنسبة لكثير من المبدعين في العالم.

الواقعية الاشتراكية:

ظهر الاتجاه الاشتراكي في الفلسفة والسياسة والاقتصاد وتبلور على يد كل من "كارل ماركس" و"فريدريك إنجلز" خلال القرن التاسع عشر وينطلق من انتقاد جشع البورجوازية والنظام الرأسمالي، ويرى أن البورجوازية - التي وعدت الأوروبيين بالجنة - عادت للممارسات نفسها التي ثارت عليها من استغلال وتفرقة وكيل بمكيالين، وأن النظام الرأسمالي القائم على حرية المبادرة والاستثمار ساعد على استغلال أرباب العمل للبطء والضعفاء والعمال دون رقابة أو محاسبة.وعليه اقترح "ماركس" الاشتراكية القائمة على ملكية الدولة لكل وسائل الإنتاج حيث يتساوى الجميع ودعا إلى الثورة من أجل تبني هذا التصور.وقد شاع هذا الفكر على نطاق واسع، وانتقل إلى الفن والأدب .

تمثل المبادئ الإيديولوجية والجمالية الأساسية للواقعية الاشتراكية فيما يلي: الوفاء للإيديولوجية الشعبية، وضع النشاط الإنساني في خدمة الشعب وروح الحزب، الارتباط العضوي بنضال الجماهير الكادحة، نزعة إنسانية لاشتراكية وأممومية، تفاعل تاريخي، رفض الشكلانية والذاتية .

تمثل الواقعية الاشتراكية بالنسبة لأدباء الاتحاد السوفياتي - الذي كانوا وقتها بصدد وضع الأسس لمجتمع لاشتراكي مثالي ونموذجي - الروح الملحمية الجديدة التي تؤسس للبطل الاشتراكي، صانع التاريخ ومستقبل الإنسانية .وأضحت الواقعية الاشتراكية، بدلية من 1934 هي الإيديولوجية الأدبية الرسمية التي لا يجوز الخروج عنها في الإبداعات الفنية والأدبية .ووضع الأديب الناقد السوفياتي مبادئ وقواعد صارمة لهذا المذهب، بحيث لا يجوز الخروج عنها .وكل من تسول له نفسه الابتعاد عن هذا المنهج الرسمي، يجد نفسه عرضة لاتهامات خطيرة قد تؤدي به إلى القتل، السجن أو المنفى .

وقد انتشرت الواقعية الاشتراكية في كل بلدان العالم، تنظيرا وإبداعا، ورأى فيها بعض كبار الأدباء العالميين مشروع بعث إنسانية جديدة، ومن روادها الكبار، الشاعر الروسي مليا كوفسي، والأديب الروسي الذائع الصيت غوركي، ولويس أراغون في فرنسا وناظم حكمت في تركيا، وبابلونيرواد في الشيلي، وغارسيا لوركا في إسبانيا ومحمد نيب في الجزائر .